فما حلوت لي حيث حلقت ولا أعلو بما به اعتلقت بل قال إن العبد إذا أزر
ثمنه وخفت مؤونته تحبب به مولاه والتحف عليه هواه وإني لا أوثر تحبيب
هذا الغلام إليك بأن أخفف ثمنه عليك فزن مائتي درهم إن شئت واشكر لي
ما حبيت فنقدته المبلغ في الحال كما ينقد في الرخيص الحلال ولم تخطر
لي ببال أن كل مرخص غال فلما تحققت الصفقة وحقت الفرقة هملت عينا
الغلام ولا هملان دمع الغمام ثم أقبل على صاحبه وقال

لحاك الله هل مثلي يباع لكيما تشبع الكرش الجياع
وهل في شرعة الإنصاف أني أكلف خطة لا تستطاع
وأن أبلى بروع بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع
أما جربتني فخبرت مني نصائح لم يمازجها خداع
وكم أرصدتني شركاً لصيد فرحت وفي حبائلي السباع
ونطت بي المصاعب فاستقادت مطاوعة وكان بها امتناع
وأي كريهة لم أبل فيها وغنم لم يكن لي فيه باع
وما أبدت لي الأيام جرماً فيكشف في مصادمتي القناع
ولم تعثر بحمد الله مني على عيب يكتم أو يذاع

فأي مساغ عندك نبذ عهدي كما نبذت برايتها الصناع
ولم سمحت قرونك بامتهاني وأن أشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنت عرضي عنه صوني حديثك يوم جد بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا سكاب فما يعار ولا يباع
فما أنا دون ذاك الطرف لكن طباعك فوقها تلك الطباع
على أني سأنشد عند بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا

قال فلما وعى الشيخ أبياته وعقل مناغاته تنفس الصعداء وبكى حتى أبكى البعداء ثم قال إني أحل هذا الغلام محل ولدي ولا أميزه عن أفلاذ كبدي ولولا خلو مراحي وخبو مصباحي لما درج عن عشي إلى أن يشيع نعشي وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين والمؤمن هين لين فهل لك في تسلية قلبه وتسرية كربه بأن تعاهدني على الإقالة فيه متى استقلت وإلا تستثقلني إذا استثقلت ففي الآثار المنتقاة المدونة عن الثقات من أقال نادماً بيعته أقاله الله عثرته
قال الحارث بن همام فوعدته وعداً أبرزه الحيا وفي القلب أشيا فاستدنى حينئذ الغلام إليه وقبل ما بين عينيه وأنشد والدمع يرفض من جفنيه

خفض فديتك النفس ما تلاقي من برحاء الوجد والإشفاق

Copyright © King Saud University